النسق الشعري عند بشار بن برد
دراسة تداولية

الأستاذ المساعد الدكتور
ناصر شاكر الأسدي
جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص :

لاريب أن النسق الشعري هو ارتباط توافقي في حيثيات اللغة وانزياحاتها المحورية النابعة من أصول الموضوعات الأكثر فعالية في جماليات النقد والأدب ، وهي عرضة للصقل والتجديد والتغيير .

وللنسق ارتباط في فضاءات التداول ومكون من مكوناتها الانفعالية وانسجاما مع البعد الإنساني والاجتماعي لملء الفراغ أو ما يسمى بالموضعة التي تعد من أوليات التداول فالصعود والنزول هما حركتان تسكن بينهما ديمومات الفعل ووظائفه المتعددة وهي انساق تداولية تحظى بالكثير من الجهد والانشغال بالذات .

إن إطلاقنا للنسق هو تجريد وانهمام للذات في قصدياتها الفوضوية التي لاتنسجم مع الآخر وربما تتجاوزه في ثوابتها التكوينية .

وقد درس هذا البحث مجموعة من الأنساق التي وظفها الشاعر في ظل المنهج التداولي وكانت محاورنا الأربعة هي :

١- الفراغ التداولي وهيمنة النص الشعري

٢- المركزيات وعبور نسق الذات

٣- النسق الأعمى في صور بشار بن برد

٤- تداولية الارتجال وكسر أفق التأويل .

Poetic System in Bashaar bin Burd's Poetry : A Pragmatic Study

Assist. Prof . Dr.
Nassir Shkir AL – Assade
College of Art - University of Basra

Abstract

Symmetry in bashar bin burd's poetic imagery : pragmatic study

Its not doubt that symmetry is aharmoic correlation in language sensualities and in its central displacement that rise out of the essense of the most efficient issuesin the aesthethics of criticism and literature

Symmetry is kind of correlationin the pragmatic void and are of the emotional components and the harmony with the human and social dimension to fill the gap between the two antonyms .thius what came first is followed by an empty space till the second comes to fill the space and this is called localization which is an important principle in pragmatics .going up and down are two dynamic anxieties and what is between them of the continuation of action and function are the pragmatic symmetryies that surpass much of the effort and self –obssession our release of the blind symmetry is abstractness and self –obssession in its intention that may not go in harmony with the other and may go beyond it in its component consistencies

توطئـــة :

لاريب أن النسق الشعري هو ارتباط توافقي في حيثيات اللغة وانزياحاتها المحورية النابعة من أصول الموضوعات الأكثر فعالية في جماليات النقد والأدب ، وهي عرضة للصقل والتجديد والتغيير

وللنسق ارتباط في فضاءات التداول ومكونا من مكوناتها الانفعالية وانسجاما مع البعد الإنساني والاجتماعي لملء الفراغ أو ما يسمى بالموضعة التي تعد من أوليات التداول فالصعود والنزول هما حركتان تسكن بينهما ديمومات الفعل ووظائفه المتعددة وهي انساق تداولية تحظى بالكثير من الجهد والانهمام بالذات

إن إطلاقنا للنسق هو تجريد وانهمام للذات في قصدياتها الفوضوية التي لاتنسجم مع الآخر وربما تتجاوزه في ثوابتها التكوينية .

والنسق الذي اعتمده بشار بن برد في صوره الارتجالية إنما كان عشوائيا في الشكل أعمى في الظاهر لكنه في الداخل كان نسقا منظما ومبصرا لاعتماده على توليف تلك الصور وفي غاية الدقة بفضل القدرة الاختزالية والتصويرية التي جعلته رائدا في صوره الارتجالية ذات النسق المتفرد .

والنسق عند بشار يأتي خارجا عن المألوف ويكون مبكرا في انفتاح شكله على مضمونه في تماس محوري مع السياق النصي .

لقد كانت وجهات نظر بشار خارجة عن المألوف والسائد وهي إلى حد ما واسعة وعريضة الحدود وتتحمل دلالات ومعان غاية في التطرف والشذوذ ، وتلك قصدية واضحة نابعة من إجراءاتها التداولية التي يتعذر علينا من الوهلة الأولى تصيد ما فيها من علائق إرتكازية مهمة .

والارتكاز الذي بنى عليه بشار تلك الصور كان معتمدا على جوهر الإنسان وعلاقاته مع مجتمعه لذا فإن تلك الصور ما زالت حية ونابعة من الجوهر وهي في حقيقتها حركات انثربولوجية تعمد النص وتوحي بالكثير مما يحتويه دونما تسويف أو مراوغة .

تلك هي الموضعة التي تبلورت عند بشار وجعلته واحدا ممن أسسوا لمعيار الشعر في سياق النص الإبداعي .

لقد باشر بشار أدواته الاجتماعية من خلال التواصل الموضوعي للأشياء وذلك ما نطلق عليه بالتشخيص التداولي للإبداع .

وفي التداولية نعتمد على مركزيات الخطوات فالخطوة الأولى نركز بها على النص أما الثانية فنباعد فيها لنترك فراغا يتحرك من خلال النسق ثم نوحي بالاقتراب فيما بين الخطوتين ليتم الالتصاق بالنص فيتلاشى الفراغ لتنتج عندنا الأنساق المختلفة بموضعاتها ومقارباتها المستجدة كالفعل وردة الفعل وعملية الذهاب والإياب من رحم الاستنتاجات والإستنطاقات الدلالية المختلفة وذلك لايتم إلا بالدمج في سيرورة المناهج أو مايسمى بتعدد المناهج وسندرس في هذا البحث مجموعة من الأنساق التي وظفها الشاعر في ظل المنهج التداولي وستكون محاورنا الأربعة كالأتي : ١- الفراغ التداولي وهيمنة النص الشعري ٢- المركزيات وعبور نسق الذات ٣- النسق الأعمى في صور بشار بن برد ٤- تداولية الارتجال وكسر أفق التأويل .

١- الفراغ التداولي وهيمنة النص الشعري :

لابد من وجود فراغ ارتكازي تنبعث من خلاله الحركة الفاعلة أي ((**كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم**)) (١) والفراغ يعمل على دمج كامل البنى والمكونات لاستنطاق النص والتقليل من هيمنة التأويلات المتخيلة التي يقع على عاتقها تفريغ شحنات ذلك الفراغ وتحويلها إلى صور تتحلى بقدر أكبر من الدلالات الموحية المنظمة التي تنزاح على الحياة الاجتماعية .

((**بوصفها نتاج العملية التواصلية**)) (٢) . ذلك التواصل يتجلى عبر الأشياء المتشكلة بالكلمات التي نعدها من أوليات صناعة الشكل النصي وحيثيات الباطن المتحايث على حد سواء ، وهناك نوعان من الوظائف : الأول ما كان متماهيا مع النسق منساقا مع أعماله القولية والثاني : ذلك الذي يغادره القول حين ينفلت من إسار العبارة وذلك مايطلق عليه ب ((**التأثير بالقول**)) (٣) إذ لاوجود للفراغ إلا إذا اشتغلت العبارة بآثارها من حيث الجهد الأولي المتناغم مع الصوت الدال على الأقوال والأفعال .

والداخل في منظور الدراسة النسقية إنما هو قراءة قائمة على ((**مبدأ أسبقية النسق وإزاحة السياق**)) (٤) وذلك يتمحور على أساس المبادلة بين الشكل والمضمون وبين سلطة البنية ، وقراءة الداخل هي إحدى المستويات الإجرائية التي تعمل لمقاربة النصوص الإبداعية ولا يمكن لنا الاشتغال إلا بوحي من القصدية الفاعلة الملازمة للأثر الأدبي . قال بشار من البسيط (٥)

كأنها يوم راحت في محاسنها

فارتج أسفلها واهتز أعلاها

حوراء جاءت من الفردوس مقبلة

فالشمس طلعتها والمسك رياها

هناك قصد جمالي تعبيري مدهش يتماهى مع سيرورة الانفعال النفسي الكامن في نفس الشاعر وهو اثر فاعل يرسم لنا صورة تشبيهية تؤثر في الذات لان الوصف المنقول متحرك بذاته نابع من حركة وقوام جسد كان يتشوفه في ذاكرته ويتلمسه بأنامله الخشنة .

إن بشاربن برد يصنع انفعالاته الذاتية منطلقا من تصوراته المتحركة ((**في هذا المستوى التعبيري ما دام المستوى الشعري لايتقاطع مع المستوى الانفعالي على الرغم من أن التركيز فيه على النص لا على المناص**)) .(٦) . إذن هناك اتصال انثر بولوجي يبرز جوانبا من الاحتكام الاجتماعي لأدق تفاصيل الإنسان وحركته الدائبة ، فالحركة الارتدادية بين ارتجاج الأسفل لثقله تؤسس لنوع من هيمنة الصورة الفاعلة وبين اهتزاز الأعلى لخفته النسبية وقد تقصد بشار بان يجعل في متناول أيدينا متداولة شاخصة تنبض بالحياة وهذا القصد يوحي بان الاهتزاز يطلق على الحياة والحركة الكامنة في اهتزاز الأثداء في حركتها الدائبة باللبن والجمال .

والارتجاج في صورته نزوع لثقل الحركة الاحتوائية للمرأة وهذه صورة مجسدة لامرأة ثقيلة الأرداف لان العرب تعشق المرأة ذات الأرداف الثقيلة لأنها أكثر مقدرة على إنجاب الأبناء.

نحن أمام صورة جسدية متحركة نابضة بالحياة متوافرة على الخصب والبقاء، وإن كاميرا بشار الاجتماعية تتواصل مع أدق الأشياء وأكثرها حساسية وكأنه يضع قانونا لقياس الجمال والجسد في آن واحد وذلك نسق وصفي يتم استبداله بصورة محورية وهو بناء نصي تتابعي يتنامى للكشف عن الحدث الشعري وهو توافق في شكل الافتتاح لمركزيات البنية السياقية (٧) . والفراغ التداولي ينزاح عبر وسيط تكويني يمتد متوافقا في زوايا الامتلاء ليتوافر على طرائق غير شائعة تتبلور من خلال الهيمنة الكبرى للنص سواء أكان انفعاليا إجرائيا أم انطباعيا تراتبيا.

إننا إزاء واقع متبلور يتشكل بالضد من مكوناته الاجتماعية ليقفز في ظل توافقاتها واعتراضات الحيز المتاح لذلك الفراغ وهو يعطينا الفرصة الكاملة وبغير قيود للتحليل والتعليل لأن الظاهرة المشتغلة على التداول تكون وليدة استنطاق واستكمال وتهذيب ، تلك هي السلطة التي يهيئها الشاعر

لأنها ((**في إطار بحث روابط الهيمنة القائمة**)) (٨) تلك هي إشكالية تواجه الشاعر عن طريق قيمة التبادل وبين السلطة تلك وذلك ما يعبر عنه بنظام إجرائي يمتلك أدواته ليختصر دوافع التوجه التداولي منسقا تلك الأدوات بما يحفر في ذات الكيان الاجتماعي مولدا أساليب تقفز فوق ما هو متوارث وصولا لكل جديد قال بشار من الخفيف (٩) .

كل بيضاء كالمهاة استعارت

لك أم الغزال عينا وجيدا

زانه الشذر والفريد على النحر

نظاما بل زان ذاك الفريدا

تتواصل مقاربات الشاعر فهو يمازج بين صورتين وفراغين فما كان للمهاة ينزاح على المرأة التي هي مهاة في واقعها من حيث الجمال لكن الأعلى في قصديته أنه رسم لنا صورة القلادة الفريدة التي تزين ذلك الجيد لامرأة كالمهاة على رقبة طويلة ممتدة يرصع عليها الشذر الأزرق حماية لها من الحسد وذلك النحر حيث مستقر القلادة فأي الصورتين هي الأوفر في تكاملها أهي صورة المهاة أم صورة الفتاة ولا أخالني أختار على صورة الفتاة المهاة بديلا لأن كلتا الصورتين في درجة قصوى من الجمال والكمال ولأن القديم تميمة والمجدد شذرا فريدا أزرق فلك الاختيار .

والفراغ عندنا هو مساحة قسرية يتماهى مع التواصل كغرض مهم لكي ((**يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب**)) (١٠) وتلك تأكيدات من خلال وجهة النظر التداولية هي أفعال توحي بالكلام أو معان لأنساق كثيرا ما ترد في لغة الفرد اليومية (١١) وصور بشارهي الأكثر حوارية يستلزم بها حال الرجوع بالتمني المتكرر وهو تواصل محوري في ذات الفعل الكلامي قال بشار مخاطبا عبدة من الطويل . (١٢)

ألا قل لتلك المالكية أصحبي

وإلا فمنينا لقاءك واكذبي

عدينا فإن النفس تخدع بالمنى

وقلب الفتى كالطائر المتقلب

تلك حوارية الاستلزام للزوم مايلزم من التمني العاجل المتماهي بخطاب انفعالي تهديدي إذ أن أمنيته الشائعة بالوعد ماتلبث أن تنقلب إلى غيرها وهذا ما يحرك الفعل أو القول الكلامي في سياق

استقصاء ردة فعل المتكلم والمخاطب ، وذلك محض احتكاك بكل ماهو إنساني واجتماعي كما يعبر عنها فيرشون إذ يقول ((**تدرس التداولية كل شيء إنساني في العملية التواصلية سواء كان نفسيا أو بايلوجيا أو اجتماعيا**)) (١٣) . إن النص في مقتضى الحال فعل منزاح عن اللسان وذلك يحيل إلى التأويل بوصفه حركة فعلية لسانية (١٤) .

إن النص في أعلاه متوافر على أفعال لسانية مثل الوعود والتهديد والأسئلة والمطالبة الحثيثة التي تمتلك قدرا من النزول إلى تواصلية انبعاثية تحرك العادات الاجتماعية وتؤصل لحركتها الخاصة والعامة .

وفي سياق القصد عند بشار توقفنا انفعالات الكلام منفلتة من إسار نسقها العام لتكون لنا وظيفة تراجعية تبهر السامع لكونها فوضوية في ألفاظها وأجراس نطقها ولعلها تستفز القارئ حين يستمع إليها ، قال بشار من (الرمل) (١٥) .

عجبت فطمة من نعتي لها هل يجيد النعت مكفوف البصر

هذا هو بشار يسد فراغ النص بنعوته بنسق مغاير يخالط فيه بين التجريد والتمهيد ثم ما يلبث أن يقول في نفس المقطوعة (١٦) .

بنت عشر وثلاث قسمت بين غصن وكثيب وقمـــــر
درة بحرية مكنونـــــة مازها التاجر من بين الدرر

إنها أنساق يقدرها الشاعر في فتاة في ربيعها الثالث عشر يتلمس لنا بيديه المساحة المؤهلة للوصف بين الخصر والوجه .

إن النص الشعري في هيمنته هو نزوع نحو الفرادة الممكنة التي تستحوذ على قابليات الاجتماع والتواصل في فهم أنساق العملية التداولية وإنشاء مقتربات توافقية لفهم تلك الظاهرة المنزاحة بوعي اللغة وإخضاع تراتبياتها المعقدة في خدمة النص المهيمن عليها .

وللتداول مرجعيات ذاتية ونفسية تؤكد هذا الاتجاه وهي تصنع ((**خصوصية التحليل النفسي**)) (١٧) على أساس أن تلك الخصوصية تتبع ((**آثار المعنى الذي يفككها ، يعطي انطباعا بوجود علاقات قوة**)) (١٨) والعلاقات النابعة من القوة هي ذات السلوك النفسي الذي جبلت عليه نفسية شاعر كبشار صاحب التوظيف الصوري والنعوت الجريئة المتأتية من تواصلاته القسرية مع

المجتمع والدخول في أدق تفاصيله بقوة وجرأة إلى حد الفوضى العارمة في رسم النصوص وإكسائها غطاء العنت والإقحام .

إن أفعال الكلام في سد الفراغ التداولي إنما تنتمي إلى مرجعيات السياق التواصلي ((**الذي هو فيه على نحو رئيس ماهو قصد المتكلم الفعلي ، أي أن بنية التواصل في أفعال الكلام ليست واحدة من القصد إلى الإدراك ، لكنها واحدة من القصد إلى الاستنتاج**)) (١٩) ، قال بشار في ظل مرجعيات السياق التواصلي في عبدة من البسيط (٢٠) .

قل للتي هجرت حولين عاشقها
لو كنت مقبلة في الوصل ما رادا
هجرت من لم يرد هجران ودكم
ومن يبيت لما ضيعت عدادا
لم ينس أيامك اللاتي وصلت بها
والصرم يحصيه إصدارا وإيرادا

تلك هي مرجعيات أفعال الكلام ومقاصد المتكلم الفعلية المكونة لبنية التواصل يمكننا أن نستنتج منها روابط القصد إلى روابط الاستنتاج على نحو التداول أو البراغماتي المؤثر في تشكيل خطاب استثنائي عمد الشاعر إلى تشظية لغته وتوزيعها على بنية النص الشعري .

٢- المركزيات وعبور نسق الذات

لاشك أن المركزيات المعرفية هي فيوضات كونية عملت على ارتقاء النص وإعطائه الهيمنة دائما عبر الأنساق الصغرى وصولا للأنساق الكبرى لكون التداول ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في وقت واحد والقاسم المشترك بين التداول والدلالات هو مضمون النص (٢١) . ذلك المضمون الذي نحدده بالتلميح من خلال الاستعمال في سياقات الفعل الكلامي .

والمركزيات في شعر بشار إنما تعمل على ترشيق اللغة بمفرداتها وأنساقها وتوليف آليات لعبور نسق الذات ، وتشريح ملائم للوعي الحضاري على وفق نظرية التواصل الاجتماعي لكونه أي التواصل ((**عبارة عن علاقة تتوخى بناء وعي بمنأى عن ضغط المؤسسات والأجهزة**)) (٢٢) . قال بشار من الكامل (٢٣) .

قالت : وكيف بما تحب مع العدى

شبت عيونهمو علي وقودا

ذوقي عبيد كما أذوق من الهوى

إن كنت صادقة الصفاء ودودا

إن المحب يذوب من مضض الهوى

ذوب السراب ولا يكون حديدا

تلك هي ملامح وعي منفلت من مساءلات التقييم المؤسساتي لكون تلك الملامح تشكل ظاهرة تكون في الجوار من انزياحات اللغة وأنساقها ، لذلك فالشاعر يؤسس لمرحلة خاصة من عبور نسق الذات إلى الآخر من خلال التماهي بحوارات الذات ومقولات القول في توجيه خطاب مكثف ينتمي إلى انساق توافقية لها صدر التماثل في تصوير أصعب أنواع العلاقة المحايثة وأكثرها تداولا على اعتبار القصد الموجع والفوضوي على حد سواء. وهي إنما تعد تلك الحوارات لتتوجه إلى سرود شعرية غلبتها ملامح الحكاية في تركيب ستراتيجيات نصية عارمة ممكن لنا أن نتأمل صورها بالتأويل وذلك العبء لا يضطلع به إلا القارئ العارف بأصول التواصل لكون فعل القراءة يعمل على تشخيص المتكلم والمستمع واستقراء مابينهما من صلات وروابط تكوينية .

إن الحوار التواصلي يمتلك قدرا من شفافية الكلام لأننا ((**لا نستطيع قراءة نص من دون أن نفهمه في الوقت نفسه بطريقة ما**)) (٢٤) . قال بشار بن برد وانسجاما مع سمات صناعة القصد الفعلي التداولي من البحر الخفيف (٢٥) .

أرهقت مهجتي ولم تدن إلا

وقعة عندنا وقوع الغراب

يوم قامت مختالة في حقاب

ليتني كنت بعض ذاك الحقاب

إن صور بشار تتمرد في أصول معرفيتها وتخضع لتأسيس مغاير عند الآخرين لكون بشار لايتردد في قلب الصور الشعرية وإطلاق بواطنها الشعورية في نسق مغاير يمكننا أن نطلق عليه بالنسق الأعمى الذي لايمكن أن نتلمس ترددانه إلا بمسبر اجتماعي متقارب ومتحايث للصلة العميقة بين المتفاعلات الكلامية والأقوال ، بل هو سياحة انطباعية في تشكلات المألوف والسائد وانهمام بالذات ثم الخروج من إسارها عند مراحل أخرى عندما يخرق النسق ليؤدي وظائف غير اعتباطية .

إن الحدود الممكنة لعبور نسق الذات هي ذات الحدود للتماهي مع الآخر في جدلية الثنائي المتناقض والمتلاصق لحركة النص لكون الآخر في تصور الشاعر هو مشروع تداولي يتواصل من خلاله لتفسير نمطية النسق وتحويله عن وجهته لأسباب يراها الشاعر ممكنة في تصوراته وتخيلاته، وهي محض متغيرات تظهر على ملامح الأفعال والأقوال لأنها ((**أقوال تتحول إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها**)) (٢٦) . تلك هي تداولية ممكن أن تظهر من خلال الخطاب الموجه بل في ذات الخطاب ومكوناته الداخلية وانشغالا في حركة الزمان والمكان المهيمن وانطلاقا للتلميح والتوصيف لترك اثر نسقي متحول وكائن . قال بشار من المنسرح (٢٧).

راحت سليمى تدعوك بالعند
وبالمنى في غد وبعد غد
قالت سنلقاك فرط سابعة
فقلت : يابردها على الكبد !
ليت الحديث الذي وصفت لنا
يكون بيعا بالمـــــال والولد

هي تلميحات زمانية وأمان تواصلية في زمن يوظفه الشاعر في نسق مابين الذات في حدودها والآخر في حدوده منطلقة عبر بوابة مركزية تأخذ على عاتقها النسق المتحرك الخارج عن حدود المكان إلى حدود الزمان الذي لم يكن متحققا على الدوام ،انه سلوك تراتبي من قصديات الشاعر في رسم تداولياته المطبوعة في جدار الخطاب الشعري الكائن في ((**المناهج النسقية سواء في ميدان الخطاب الشعري أو ميدان تحليل الخطاب السردي**)) (٢٨) . وأن يوجه كلامه نحو الآخر من باب معرفته الأكيدة بردود أفعاله الكلامية أو القول المؤسس لنظرية الحوار المتماهي مع النص بشرائط انفعالية واضحة تستقطب كل الأنساق المتاحة والممكنة لتوظيفها كعلامات نسقية دالة على التفاعل الموضوعي والنسقي تتداول عند القصد مرة وعند الآخر اللامبالي مرة أخرى .

إنها قرائن منفلتة من رحم التصورات التي اعتمدها شاعر كبشار يؤسس لنظرية مهمة في التشخيص والاستهلال لمجمل خطابات الصور المنزاحة ذات القدرة على التواصل بغير انقطاع وتلك تقترب من الشعرية التي تتجاوز ((**التفسير الوصفي والاهتمام بتحديد المعنى الأوحد إلى البحث الحثيث عن قواعد عامة تحكم ظاهرة الكتابة الأدبية**)) (٢٩) .

تلك الظاهرة في التداول تتيح فرصة أوفر للنص لكي يبتنى من الداخل باطنيا وبنائيا يقول بشار من البحر البسيط (٣٠) .

غزالة غصبت ليثا بمقلتها

لم أر كاليوم مغصوبا ومغتصبا

يانظرة أعلقت سلمى بمقلته

فما يزال قذى في عينه نشبـــــا

أنظر لذلك التداعي الذي يؤسس لفكرة ذاتية تغلب أخرى إذ يتحرك الليث بمحور الغزالة مغصوبا بجمالها مفتوكا به لكونه يقر أن الفتك الكائن منتقل بين الغاصب والمغصوب فتلك الغزالة تفتك مرة وتغتصب مرة أخرى والنص هنا يأخذ بعدا إرتكازيا لكون الغزالة تغتصب بمقلتها لكن الغزالة هي سلمى التي تركت في عينيه نظراتها تاركة نعاسا قد استفحل وهو تقابل في النسق الذي يتجدد بنائيا ليكون نصا خطابيا ترتكز دعائمه على مشغلات اللغة وانزياحات قوالبها المتأنية .

والجملة هي المارد الأكثر فعالية في نصوص بشار من حيث أن الجملة تخضع لمسبار التحليل اللساني الذي يتوقف عندها لأنها صممت كإطار للدمج بين مختلف الوحدات التي تعد جزءا من لسانيات الكلام لا من لسانيات اللغة (٣١) .

ولم تعد المركزيات المعرفية حجر عثرة في طريق أنساق بشار الذي تجاوز مبهراتها بجرأة متناهية حينما أوغل في أنماط أنساقه التجريدية حينما ولد في اللغة اشتغالات أزاحت المشغلات السائدة مع الذات وخروجا بها إلى ثلة من المتغيرات المستحدثة التي دفعت النقاد لجعل بشار على قائمة المولدين المشاغبين الذين غازلوا اللغة واستحضروا الداخل فيها وصولا للحقيقة التي مفادها أن اللغة ممكنة في تحولاتها وثنائياتها التي تتوالد لتحيى . قال بشار من الكامل (٣٢) .

دع ذكر عبدة إنه فنـــــد وتعز ترقد مثل ما رقدوا

مانولتك بما تطالبهـــــا إلا مواعد كلهـــــا فند

فاسكن إلى سكن تسر بـــه ذهب الزمان وأنت منفرد

قد شاب رأسك في تذكرها وهفا الفؤاد ورقت الكبد

فاستبق عرضك أن يدنسه ظن المريب وظنه حسد

لاتجر شيبك للصبى فرسا واقعد فإن لديك قد قعدوا

المقطوعة في أعلاه من الكمال أنها خرق للعادة تذهب مع القصد والتداول مذهب التحليل لا التأويل ترسم صورا مكثفة عن زمانيات أمكنة أراد لها الشاعر أن تكون باقية ومتواصلة لكون خاب في نواله الذي اعترك من اجله بل الذي فقد حياته من اجله. وهناك تصريح بان حب عبدة أوصله إلى المشيب بل ظل يتذكرها طيلة حياته وهو إنتماء متفرد لصورة مذهلة لذلك النسق المترابط . ولو أمعنا النظر في كل وشائج ذلك النسق في تصوير النسوة اللائي ذكرهن أمثال (**عبدة ، سليمى ، سعدى ، رحمة ، صفراء ، حبى ، خليدة ، بانة وغيرهن الكثير**) لأدركنا أن اللازمة هي واحدة وان نسق الدعوة المكثفة لعشقهن والحرقة في متابعة أخبارهن هي واحدة أي أنه كان يواجه حبا متفردا من نوع خاص ومن طرف واحد ولا أظنه إلا صادقا في حبه مجربا انساقا من الحب تتكرر وتتوالد طيلة حياته بروح فتية متوهجة وشابة على الدوام قال بشار في محبوبته رحمة من البسيط (٣٣) .

يارحمة الله حلي في منازلنا

وجاورينا فدتك النفس من جـــــار

أنت المنى وحديث النفس خالية

ومنتهى حاجتي القصوى وأوطاري

نخلص للقول إن المركزيات المعرفية التي تقصاها بشار في تواصله الاجتماعي مما يتداول قصديا ونفسيا إنما يؤسس لنوع مثير من الوظائف اللسانية الرشيقة التي عملت على ابتناء ديمومة النص وانطلاقا به إلى تحليلات منطقية تعطي المسوغ تلو الآخر في تشكيل بنية فوقية ذات خصائص تكوينية تمتاز بعلائق الارتكاز والتنويع بعيدا عن التوصيفات المستعرضة التي لاتخدم اللغة ولاتتماهى مع انزياحاتها المتكررة . والحلول في المقطع هو حلول الروح لاأكثر وبشار يخلد في داخل بوابة العبور نحو نسق ذات ملتهبة وغاضبة متألمة لم تنل من نوالها إلا الحرقة والندم وهو باتجاه أنساقه كأعمى عوض عنه بدقيق التخيل وهو وإن كانت أنساقه الظاهرية عمياء لكنها في جوهرها تمتلك البصيرة الفاعلة .

تلك هي حدود التداول عند شاعر أعطى للجملة انسيابها وتفردها إذ أنه أسس لمنهج متعدد قد يصعب في الشكل عند التحليل لكنه لايوصد ما في أعماقه من مفاتح الفهم للمستويات الإجرائية ولايكون عبئا على المتلقي أينما كان . وذلك شرط في التمهيد لسؤال طلب ألح عليه الشاعر طويلا على ((**أنه حالة تساؤل حول ما إذا كانت شروط الطلب الضرورية في محلها أم لا ، فالشرط**

التمهيدي مثلا يؤكد قدرة المتكلم على انجاز الفعل بينما يخص شرط المحتوى فعلا مستقبليا سينجزه السامع)) .(٣٤) .

نعم إن شروط بشار الممهدة لانتقائه الصور الارتجالية إنما تدعونا للتعجب لأنها مركزيات منظمة فائقة الجمال والاكتمال لتنضج من خلالها مجسمات الصورة الشعرية بغير منازع .

٣- النسق الأعمى في صور بشار بن برد :

ذلك النسق الذي اجترحه بشار عنوة في صوره الارتدادية التي دأبت نفسه تخيلها وتلمسها في الكثير من نواحي الحياة الاجتماعية وذلك ما شكل عبئا عليه بفعل المبالغة والإلحاح بتلك الصور التي يتماهى فيها مع الآخر وكأنه لايملك خيارا آخر غير الاستحواذ الجريء بسيل من الصور الكاشفة والغارقة بالفوضى وهو نسق مهيمن بجرأة متناهية لاتخشى العاقبة وهو في حركته مندمج في سورة الغضب والتحدي . وهذا نوع من التداعي النفسي وهو ظاهرة يجب الوقوف عندها لأنها تنطوي على مجموعة من المكونات الأساسية لصياغة القدرة التواصلية وإحدى تلك المكونات هي القدرة اللغوية التي تعد المصدر الرئيس للدوافع الكلامية تتلوها القدرة الاجتماعية التي تقف بالجوار مع القدرة اللغوية لكن بثوبها الاجتماعي الذي لايمكنه أن ينفصل عن قدرة الحوار الذي يشكل في مجموعه القدرة الفائقة في مخزون علم المعرفة أولا والعامل الشخصي انطلاقا من معوقات وتحديات الأداء النهائي الذي يعد الأداء الفاعل كرمز للتداول وكوظيفة شخصية ذاتية تستلهم أشياءها من العالم الخارجي (٣٥) . قال بشار من مجزوء الرجز (٣٦) .

هل من رسول مخبر عني جميع العرب
من كان حيا منهـــم ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حســـب عال على ذي الحسب
جدي الذي أسمو بـــه كسرى، وساسان أبي
وقيصر خالي إذا عددت يومـــا نسبي

أنظر للمقطوعة التي تجسد نمطا مغايرا من الأنساق الثقافية وكوظيفة شخصية تواصلية مع عوالم معرفية خارجية يغير بها بشار نسق صوره كردة فعل لما يعانيه من صدود على الصعيد الاجتماعي والشخصي ومدى التأثر الذي حملته نفسه من تلك النقائص التي شابت النفس بها وإكمالا

للنقص تراه يرجع للأصول المعرفية الخارجية مغايرا لنسقه الباطن محللا لنسقه الظاهر الذي نطلق عليه بالنسق الأعمى الذي يقود لمركزية الانفعال إذ أنه ((**يتجلى في القصد الجمالي للتعبير فضلا عن العامل النفسي، إذ يقود الانفعال إلى سلوك هذا الضرب من التعبير**)) (٣٧) وللنسق الأعمى ردة فعل لدى المتلقي وهي ردة معاكسة تتبناها سمات مكونة لنسيج النص ومتفاعلة مع حركته الجوهرية والردة تلك هي من تأثيرات أفعال الكلام الحوارية التي تدعو إلى الاستنتاج المباشر ضمن نسق مختلف تتوازى به المركزيات ثم تتقاطع مكونة أحادية دلالية مشتغلة على وهم الذات بل وهم الآخر في صراع لاينتهي مادام النص دائبا بحركة اشتغالاته في اللغة الجامحة والمسافرة في أتون الخلق الفعلي المحايث وذلك قصد توظفه ((**الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه**)) (٣٨) . وتلك هي قرينة توفيقية ((**تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة**)) (٣٩) .

والنسق الأعمى نكوص في طبيعة تكوين الشكل الشعري واستعلاء على بعض الضوابط الذاتية المتوغلة في نفس الشاعر وأيديولوجيته المغايرة وتكشفا لكيفيات الفعل وأنماط حركته الداخلة والخارجة وما يستبطن من مفاهيم غاية في العمق إذ يقوم ((**كل فعل كلامي على مفهوم (القصدية) وتقوم (مسلمة القصدية) على أسس تداولية**)) (٤٠) . وتعد تلك المفاهيم قيمة تداولية نصية وحوارية كامنة في أبرز المفاتح الممنهجة للنصوص التي تنطوي على أفعال القوة المتضمنة في القول إن أفعال القوة تشكل هرما توافقيا مع عوامل الإقناع في استلام الخطاب والتضليل على المصادر الخاصة التي يحصل من خلالها الفعل كما أن التأثير المتوخى من فعل القول لايؤتي أكله إلا إذا جاء متزامنا مع الفكر والمشاعر قال بشار من البسيط (٤١)

سطو علينا بأن كنا مواليكم

وعيرونا بآبـــــاء وأجداد

وقد نرى عار قوم في أنوفهمو

ونترك العيب إذ ليسوا بأنداد

كأننا عنهمو صم وقد سمعت

آذاننا قول جور غير قصاد

لامناص من مماحكة الدافع الذاتي وقلب النسق حين يتحول التداول إلى قصديات فكرية ذات أصول معرفية تصدر خطاباتها بوعي وإدراك في ظل مجتمع يمتلك الوعي كالمجتمع العباسي الذي أتيحت له فرصة ذهبية للاطلاع على موروث الشعوب واستقراء حضارات الأمم المجاورة بفعل جهود الترجمة وازدهار حركة التأليف في شتى المجالات ، حتى غدا الشعر ينحى لتوليد أفكاره ورسم تداعياتها بجرأة وهذا خارج عن نطاق المؤسسات المهيمنة وكما يراها أوستين ((**إن الأعمال الكلامية لها بعد اجتماعي وشبه مؤسساتي لا يمكننا بمقتضاه انجاز أي عمل كلامي شرعيا في أي سياق كان**)) (٤٢) .

تلك هي معطيات سياقية تدعو لها التداولية التي تجعل من شروط نجاحها الاشتغال على الأعمال اللغوية من خلال خطاب خاص ناتج عن اللغة بل حاصل عن تفاعلها بالدرجة الأساس ونعني بالتفاعل ذلك التواصل الاجتماعي المؤدي إلى تحريك وجهات النظر بين الباث والمتلقي وفهم المساحة المتبقية بينهما على أساس انتقالي متسلسل وذلك لايمكن اعتماده إلا من خلال التحول من الدلالات المعجمية إلى الدلالة السياقية وهذا ((**لايدرك إلا بتمثلات ذهنية تعقد في ذهن القارئ**)) (٤٣) .

إن منهج التداول في حقيقته استبطان للذهن وتجريب للمساحات الممكنة للمغايرة مدفوعة بصخب التداعي النفسي والاجتماعي ليولد اندفاعا معوضا لكل حالات الحرمان والمنع التي تتوافر في المخيل مستنفرة في حركة الذات المتقلبة يقول بشار متغزلا ب (حبى) من الهزج (٤٤) .

أحبى فيم خليت ؟ وفيما الحبل مبتوت ؟
أأدللت بما عندي من الشوق فأقصيت ؟
أتاني بعض ماألقيـ ت من هجري وألقيت
فما أمسيت حتى صـ رخ الحي وسجيت

إن العلاقة الكائنة في ذات الشاعر تدفعه إلى أعلى درجات البوح وهذا دليل على ان التواصل الاجتماعي إنما يتحرك بقرائن ذهنية تدفع الشاعر لمتابعة قناعاته لتحقيق ما يصبو إليه على الرغم من كل المعارضات التي تحول دون تحقيق أمانيه لان معارضيه عدوا تلك الاكتشافات التي يرغب في استحصالها تجاوزا على مايمتلكون وتصيدا لفرص نادرة هو يرى من الحق أن تكون له وحده . وما حصول ذلك إلا بالجرأة المتناهية التي كان بها الشاعر مشاكسا عكر المزاج عنيفا في متابعة رغباته الأمر الذي دفع الآخرين إلى إقصائه وإزاحته عن الساحة وذلك في منظور الحكاية المتخيلة

التي يتصورها بشار لأنها تشكل نظرية ((**حول تموضع القوى العقلية في مركز الدماغ**)) (٤٥) ذلك التموضع في حقيقته استعداد فطري مقترن بالميل للتواصل بفعل عوامل اجتماعية قاهرة تحتم على الفرد مواصلة الحوار الملح للخروج من العزلة النفسية . وكلما اشتدت العزلة والفارق بينه وبين من أراد فراقه تشتد عندها الرغبة في الالتصاق الحميم للتعويض بشدة .

وأهم العوامل التي دفعت الآخر للنفور من بشار تلك الشخصية الشرسة الفوضوية الملحة وذلك الخلق الصعب والنمط القاسي الذي دأبت عليه نفسه إضافة للعمى الذي أصيب به في طفولته الذي سبب له مشكلات مستعصية رافقته إلى أيام عمره الأخيرة . لكن الذي يحسب لبشار أنه صاحب قدرة عالية على الحب والتواصل مع الجميع لكن المجتمع لايرى محاسن الفرد الأخرى ويحكم على الظاهر من الخطايا يقول بشار في تواصله الحميم من السريع (٤٦) .

أنى دعاه الشوق فارتاحـا من بعد ما أصبح جماحا
ذكره عهد الصبى صاحب كان له إذ ذاك مفتاحـا
أيام عبادة من شـــــــأنه إن لم يزرها باكرا راحـا
فالقلب مشغوف بما قد مضى يلقى من الأحزان أتراحا

لقد كان تواصله مع عبدة حميما ومستمرا لكن الحاسدين فرقوا بينه وبينها ولقد كان يستأنس بالأيام الخوالي لوصاله عبدة التي يصفها بأنها الغادة التي لاحاجة مع وجودها لمصباح يقول (٤٧)

وكيف لايصبو إلى غادة تكفيك في الظلماء مصباحا

الحقيقة أن كل أعباء بشار على الرغم من جرأته ومخالطته البيت العباسي وعلاقته مع الخلفاء لكنه كان رقيقا في حبه الذي أودى به وعلى الرغم من تعدد حبيباته إلا أن ذلك كان مدعاة لتواصله وكل واحدة منهن ما أن تبادله بحب حتى تفارقه سريعا إذ كيف لرجل مرهف الحس مفرط الحساسية فاقد البصر أن يهنأ بغير الحب ؟

وفي اعتقادنا أن المتلقي في قضية بشار يمر بمستويات بنيوية ((**متعددة قاسمها المشترك سعيه إلى بلورة طريقة مرنة تقيم فاصلا نقديا بين الذات القارئة والمتن المقروء لكي يحقق المعادلة الصعبة بين الاختلاف والمطابقة ، بين المركزوالهامش، بين الفهم والتأويل في نهاية المطاف**))(٤٨) ذلك هو النسق الأعمى الذي كان ينظر إليه بشار من زوايا عليا قادرة على ضبط

درجة الاختلاف والمطابقة وبين الهامش والمركز ضمن المؤسسة المعرفية التي كانت سائدة هناك . وهو إذ يتجاوز كل تلك الأنساق وصولا لنسق لايبصر غيره كان من حقنا أن نطلق عليه وبتواضع النسق الأعمى لقدرة انساق الآخرين على المغايرة الجزئية والمسايرة الكلية باستثناء نكوص نسق بشار الأعمى وانطلاقه في زوايا تواصلية صعبة في تماهيها وتحليل مداليلها المعرفية وتراه يقول في عبدة من السريع (٤٩) .

سحارة العين لها صورة جاد عليها الحسن سحاحا

كأن ثلجا بين أسنانها مستشركا راحا وتفاحا

إن هذين البيتين في اعتقادنا وحدهما يشكلان تماهيا من نوع آخر يأخذك إلى الخيال العجائبي والكمال في صور بشار بل يطربك إنشاده متواصلا أنى شئت .

٤- تداولية الارتجال وكسر أفق التأويل :

للارتجال تداول مباشر يحكي قصة التواصل في قصدياته التواصلية وخروجا من الأنماط السائدة وهو توظيف لمجمل حركة الشعور الحركي لأفعال الأقوال التي تشتغل على منطقة الوعي الجمعي والإحساس بحركة الثقافة المركزية وكسرا لأفق تأويل المتلقي ودفعه إلى التحليل المنطقي في استمالة اللغة وفك مراحل انزياحها الشعري . وهي قراءة نسقية تلك التي تنشده ((**هو البحث عن برهة للقراءة البيضاء ،ولكن هل تفلح في القبض عليها ، وهي تتخللها كما يتخلل الماء بين الأصابع ؟**)) (٥٠) تلك البرهة التي كان بشار يتصيد أوانها ليقدمها لأنواع مختلفة من درجات الوعي والتلقي قال بشار من مجزوء الرمل (٥١) .

هام قلبي باللواتي هن دائي وشقاتي

ذهبت نفسي إليهـ ن بقلبي حسرات

ولقد قلت لراج راحتي بالرقيات

إنما تيم قلبـــــــي بقر في الحجلات

مثل عبادة فيهـــــ ن فتاة الفتيات

إن النص في أعلاه مندرج على نسق منفرد لسيرورة حركة تتابع كل وصف يراد به حبيبة الشاعر الذي افرد لها نسقا خاصا في محور حركة الذات وكأنه يعمق الصلة بعبدة التي كانت تمثل

له رمزية التواصل والبقاء بالأعلى والأدنى على حد سواء إذ كان الشاعر يراهن على عبدة رهانا مخيفا وهو رهان السلطة كون عبدة جارية عند الخليفة المهدي التي تمردت بفعل تجاذب القوى على بشار واعتقد أن السبب من وراء مقتل بشار لم يكن سببا دينيا بدعاوى الزندقة بل بسبب إلحاحه وحبه الجارف لعبدة الذي تحدى السلطة لإعادتها ذلك الأمر الذي أثار البلاط عليه وما إطلاق الجمع لنساء يهيم قلبه بهن إلا خطاب صعب كان بشار يراهن عليه وهو بحد ذاته تجاوز على الحاكم أو لم تكن عبدة من جواري الحاكم وبشار يحاول انتزاعها مجددا وهو يرى نفسه كند قوي لخصمه .

تلك الوظائف الارتجالية التي جسدها بشار في قصديته الفوضوية الجارحة وهي نمط مغاير وذلك يدعونا إلى البحث عن وضوح النص وهو مرهون **((بمدى قراءته من الداخل ، والحفر في بنياته الباطنية وهذا ما يستدعي استحضار جملة من المعارف والأدوات النقدية))** (٥٢) تلك القراءة هي نسق داخلي مرهون بمستجدات المتخيلة التي تعقد الصلة في المتغيرات التي كان عليها الشاعر وبين أفق التصورات التي عليها التأويل للوصول إلى ارض صلبة لتوليف ذلك الفراغ التكويني وإنهاء عملية التسطيح والتلميح للنص لان نصا نقراه لبشار يزاول عملية الحفر الذاتي بمعية نسقه المتجرد والمخالف مع بقية الأهواء الأخرى . وبسبب هذا النص يكتب سلطته على وفق المتغيرات الشعرية بأنماطها المختلفة وتلك نعزوها لقدرة بشار على الإفصاح أو **((التعبيرات حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن تكون ثمة نية صادقة))** (٥٣) وهذا ما لمسناه في صدق مشاعر بشار وصدق تفاعله مع نصه الشعري قال من بحر الرمل (٥٤) .

قمر الليل إذا ما انتقبت وهي كالشمس إذا لم تنتقب

ربما بت بها مستبشرا في نعيم وتصاب ولعب

تلك هي الأنوثة التي شكلت في تواصل بشار رهانا لرسم صوره بكل دقة واستغراق وهي في تماهيها وانزياحها على مراتب وصفية غاية في الاكتمال هي ذاك القمر حين انتقابها لان النقاب يضفي على الوجه ظلاله كما القمر بضوئه بينما إذا أزاحت النقاب فإن الشمس ستسطع من نور وجهها تلك صورة تعد عتبة نصية لحراك جديد يبدأ من تبدلات الوجه إلى تبدلات الجسد بدليل الانتقال من الوجه إلى المبيت والذي يعني باقي الجسد حيث المبيت ليلا وهو في قمة استبشاره بلحظة يسميها النعيم وعودة للصبا واللعب وهو في عقده السبعين وذلك تواصل بل مبالغة في التوغل في حنايا المجتمع وارتقاء النفس من الأحادي إلى الثنائي في مقابلات تنفي العزلة

والاغتراب . والفاعل الحقيقي في تواصل بشار يوقعنا في إشكالية انتسابه فيكون عسيرا على المتلقي ((**تحديد الفاعل الحقيقي المؤدي لصيغة الحدث هل هو الفاعل الظاهر ضمن السياق الشعري بانفصال عن تأثيرات المؤدي أو الفاعل الأول وهو المبدع ، أم أنه هو ذاته المبدع معروضا بهذا الشكل**)) (٥٥) إنها افتراضات إيحائية تختص بها البنية الداخلية المنتجة للنص الذي يكون ((**ميدانها الحقيقي هو ذات الأديب المبدع للنص**)) (٥٦) هي إشارات مترابطة قد يترك الشاعر بينهما ذلك الفراغ الذي استقرأناه سابقا الموسوم بالقصد والإيضاح في مستويات القصد اللغوي وانسجاما مع التعبيرات التي تخضع لذات الشاعر وتعالقا مع نسقه الخاص المتضمن صورة الاستيعاب الكامل للفكرة المتخيلة كنمط افتراضي بينما يشكل الحدث الشعري عاملا لتأدية الوظيفة في نسيج الشعر فما كان حدثا تربع في ذاكرة الخلق الشعري ينسجم مع المستوى الإجرائي والإبلاغي للحدث المصور لنمطين من الصور واحدة متجردة والأخرى مغيبة جزئيا في رسمها وهو فيما بينها يتحرك نحو نسق مفاجئ يقول بشار من البحر الخفيف (٥٧) .

اسمعي ياخليد أنت الخلود
مايقول الـــــــمتيم الـــــمعمود
إن تصدي عني فلست براء
وجه نومي حتى يموت الصدود
لو دعاك الذي دعاني من الشو
ق فواقا أردت بي مـــا أريـــد
قربيني خليد إني ودود
وحقيق بالقرب منك الـــودود
لاتعني أخاك في ملة الحب
بـــــــــداء دواؤه مـــــفقود

هذه صورة يخاطب بها آنسة تدعى خليدة لكنه في حقيقة الأمر يشكوها هوانه من عبدة التي أخذت عليه كل مشاعره قال بشار (٥٨) .

لم أقصر عن الأوانس حتى

مسني من عبيدة التسهيد

جل ما بي منها وما جل نيل

عندها إنها عليها جمود

تلكما صورتان يتجرد فيهما القريب عن البعيد والمعنى المقصود والآخر المرصود في ظل الحدث الشعري فهي تمثلات للقوة الفاعلة وسلطة النص المهيمن على فكر الشاعر والسيطرة على الأبعاد الانثربولوجية كمعطى إشاري سيميائي يستخدم كمنظور تحويلي لقصديات اجتماعية تتقارب حينا وتتنافر حينا آخر . إنه عشق من نوع آخر يفصح عن لحظة حاسمة **((يعانق فيها الوعي المستحيل والتي لايمكن لأي لغة أن تستوعبها أو إن تعبر عنها تعبيرا دلاليا واضحا))** (٥٩) والتأويل يواجه التحليل فيما يخص درجة التوجه الإجرائي لكون التداول ينحو منحا تحليليا داخليا محايثا وهو ليس وهما ذلك الأفق المتوقع بل لم يكن إلا نسقا تراتبيا نوجهه للقارئ بدرجاته المتباينة من المعرفة والاتصال بالمحيط الخارجي .

إن بشارا أراد من نسقه الأعمى الارتجالي تجسيد القوة الكلامية بأفعالها المجسدة لكل نوع من أنواع الموضعة الدالة على بقاء النسق وديمومته من خلال أفعاله التي تمتلك مرونتها الانبعاثية المجددة المتواصلة مع الأنساق الأخرى المجاورة والمشابهة قال بشار من مجزوء الكامل (٦٠) .

يابان ضاق المذهب وطريد أهـــــلك أجنب

وذهبت في كل السبيل لكل غـــــــاو مذهب

لايخش مثلي حين شبـ ت وهل يخاف الأشيب ؟

هيهات أفرخ روع با نة لايـــحول المغرب

هي انساق لابد من مغايرتها لتشكيل الملامح الدلالية وتوظيف أنماطها المتحولة قسرا أو اختيارا تمتلك نكوصها في دوامات الاشتغال ووجع الاستقراء في أجمل توليد للشعر واستنفارا لمفرداته الذاهبة في شتى مذاهبها قال بشار من نفس المقطوعة (٦١) .

يابان كدرت النعـ يم فلا ألـــــذ وألعب

يابان لي نفس عليـ ك إذا ذكرت تصبب

والله رب محمـــــد إني بـبانة معجب

إن دواعي الارتجال تتمحور من خلال المقدرة الفائقة في التعامل مع اللغة لكونه لايفوت الفرصة في تواصلاته المحورية ونحن إزاء تلك الشواهد القصدية للمعنى التكميلي للصورة الشعرية نقف متعجبين حائرين لطول نفس بشار في مطاولة ذلك الترابط الروحي فيمن يخاطب وفيمن يحاور ولعل أنساقه الفائقة الفوضوية تجدد لنا فرصة لسياحة تحليلية تتوافق مع النظام التداولي اللغوي بل الخروج عليه بموضعات جانبية تمتلك الجاذبية الحسية والاستقرائية في استلهام التماهي مع الذات بل مع الآخر المعني بتلك الخطابات التي نعمد إلى إرسالها لمعان مضمرة في الداخل فمرة ندفع المتلقي الوقوف عندها رغم صعوبة اندراجه في تفكيك خلاياها المكونة ولملمة النسيج المكون لها مرة أخرى بأنساق باهرة ووظائف جديدة ((**تلك إذن صياغة متعددة المعنى قد يفهم منها أن التداوليين يحملون رؤية باطنية للسان**)) (٦٢) قال بشار من البحر الطويل (٦٣) .

وبيضاء مكسال كأن حديثهـــا إذا ألقيت منه العيون برود
دعتني بأسباب الهوى ودعوتهـا ليالي سربال الصفاء جـــديد
فجاءت على خوف كأن فؤادهـا جناح السمانى يرعوي ويحيد
فأعطيتها كف الصفاء فأعرضت ثقيلة أدعاص الروادف رود

لاعجب أن تكون نظرة بشارب بهذا المستوى من التداول لأنه كان لصيق العلاقة بالمجتمع الذي خبر كل صفاته القصدية حين كان يخاطبه بصيغ مؤثرة راسما له الاتجاه البراغماتي في فوضوية جامحة تتوالد في كل صورة تنحدر من مؤثرات الوعي الجمعي الذي كون نظرته بعمق الصلة وانطلاقا من المرحلة التي عاشها مؤثرا بمن يحاوره تاركا آثاره إلى اليوم . تلك هي قصدية بشار وتداوليته النابعة من المعرفة ومن الخطاب الشعري العربي الذي جاءنا منقولا بآماله الكبيرة بسيادة الشعر وأنماطه وأنساقه المترفة .

الخاتمة وأهم النتائج :

لا جرم أن التداولية عقدت صلاتها في أدق مايهم الإنسان بأنساقه التفاعلية وشكلت انطباعا لذاته وحركته الاجتماعية ومدى تأثر تلك الوظائف سايكلوجيا واجتماعيا وهي من ثم تأتي لملء فراغ ذلك الحيز الحركي من القول الفعلي لذا فقد برزت أفعال كلام تختص بمدلولاتها الشعورية أو أفعال أقوال تنطلق من ثوابتها اللغوية وجنوحا للتحليلات المنطقية فقد دأبت التداولية على الفصل بين التأويل والتحليل وقد توصلنا إلى النتائج الآتية :

١- توصلنا إلى ضرورة إيجاد فراغ تداولي ، تعرفنا فيه على نوعين من الوظائف الأول ماكان متماهيا مع النسق منساقا مع أفعاله القولية ، الثاني عندما ينفلت النسق من إسار العبارة وذلك مانطلق عليه ب (التأثير بالقول) وتلك نعدها نتاج عملية تواصلية تدعونا إلى استنطاق مجموعة من النصوص ومدى هيمنتها في الداخل المحايث أو الخارج المتشكل .

٢- المركزيات المعرفية هي فيوضات كونية من خلالها يرتقي النص لمحاولته عبور نسق الذات ، تلك المركزيات التي تعمل على ترشيق اللغة بمفرداتها وأنساقها لكون التداول ظاهرة خطابية وتواصلية ، والتداولية تعمل على تشريح الوعي الحضاري وانفتاحها على بناءات جديدة لنصوص أخرى إذ تنفلت المركزيات من إسار المؤسسات المهيمنة والجرأة في كتابة خطابات إستراتيجية تعمل على بلورة الفعل القصدي إذ تتبنى منهجا مشتركا مع المناهج الأخرى .

٣- وفي النسق الأعمى أدركنا ثمة نسقا مغايرا في الشكل أعمى مبصر في الداخل وهو نسق مشاغب للغة فوضوي عارم وهو قصد جمالي نفسي يعانق الذات ويكتب انفعالاتها الشعورية المتمركزة في ثقافة الفرد وحضارته وعلاقته مع المحيط ومدى تأثير أنساقه المتغيرة على الدوام .

٤- أدركنا أن هناك ارتجالا في تداولية بشار وانفلاتا من السائد والمهمش تلك القراءات الشعرية التي تفاعلت مع الحس الباطني لرؤية الأشياء وكسر أفق تأويل المتلقي ورفعه إلى مرحلة استحضار التحليلات الموضوعية . إنها موضعة تجد نفسها بديلا حقيقيا لكل تداعيات الإنسان وإحساسه بالقدرة على التواصل ومد جسور التفاعل الإنساني من خلال مد جسور اللغة العليا الفاعلة .

هوامش البحث

١- التداولية ، جورج يول ، ترجمة الدكتور قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت ، لبنان/ دار الأمان / الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م ص ١٣ .

٢- التداولية من أوستن إلى غوفمان . فيليب بلانشيه ، ت . صابر الحباشة ، دار الحوار، سورية / اللاذقية ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٤٩ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

٤- القراءة النسقية ، سلطة البنية ووهم المحايثة ، أحمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت/ لبنان ، منشورات الاختلاف ط١ – ٢٠٠٧م ص٢٠٤

٥- ديوان بشار بن برد، قراه وقدم له الدكتور إحسان عباس ، دار صادر . بيروت ط٢ – ٢٠١٠م ، ص٤٢٤ .

٦- انساق التداول التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الأدبي ، ألف ليلة وليلة أنموذجا تطبيقيا ، د فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ط١ – ٢٠٠٩م ، ص ٢٩٦ .

٧- ينظر : (الخطاب الشعري في شعر بشار بن برد ، دراسة في تحليل النص وبلاغته ، ا . د نضيرة احمد ، دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد ط١- ٢٠١١م ص١٦١ .

٨- من النسق إلى الذات ، د. عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم / ناشرون ، بيروت/ لبنان ، منشورات الاختلاف / الجزائر ط١ -٢٠٠٧م ص٢٥٤ .

٩- ديوان بشار بن برد ، ص ٢٠٢ .

١٠- التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ،د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة – بيروت/لبنان ط١ ، ٢٠٠٥م ص ٢٠٦ .

١١- المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

١٢- ديوان بشار بن برد ، ص ٤٤ .

١٣-شظايا لسانية ، ا .د مجيد الماشطة ، مطبعة السلام / العراق / البصرة ، ط١ تموز ٢٠٠٧م ص ٥٩ .

١٤- ينظر: (العلاماتية وعلم النص) إعداد وترجمة منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب ، بيروت/ لبنان ط١ ، ٢٠٠٤م ص ١٧١ .

١٥- ديوان بشار بن برد ، ص٤٥١ .

١٦- المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

١٧- العلاماتية وعلم النص ، ص ١٠٠ .

١٨- المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

١٩- التداولية والسرد ، جون- ك آدمز ، ت خالد سهر ، دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ط١ -٢٠٠٩ م ص ٧٠ .

٢٠- ديوان بشار بن برد ، ص ٣٠٤- ٣٠٥ .

٢١-ينظر: (مجلة أقلام العدد الأول – السنة السابعة والأربعون – ك٢ شباط/ آذار ، ٢٠١٢ م ص ١٨ .

٢٢- من النسق إلى الذات ،ص ١٢٦ .

٢٣- ديوان بشار بن برد ، ص ٢٢٢ .

٢٤- التداولية والسرد ، ص ٨٠ .

٢٥- ديوان بشار بن برد ، ص ١٢٤ .

٢٦- مجلة الأقلام ، العدد الأول- السنة السابعة والاربعون ، ص ١٩ .

٢٧- ديوان بشار بن برد ، ص ٢٠٠ .

٢٨- القراءة النسقية ، ص ١٢٨ .

٢٩- المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .

٣٠- ديوان بشار بن برد ، ص ١٢٥ .

٣١- ينظر : (العلاماتية وعلم النص) ، ص ١٢٠ .

٣٢- ديوان بشار بن برد ، ص ٢٦٩ .

٣٣- المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .

٣٤- التداولية ، ص٩٣ .

٣٥- ينظر : (شظايا لسانية) ،ص ٦٢ .

٣٦- ديوان بشار بن برد ، ص ١٣٦ /١٣٧ .

٣٧- انساق التداول التعبيري ، ص ٢٩٦ .

٣٨- التداولية عند العلماء العرب ، ص ٢٠٠ .

٣٩- المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

٤٠- المصدر نفسه ، ص ٤٠ .
٤١- ديوان بشار بن برد ، ص٢٣٧ .
٤٢- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ص ٤٢ .
٤٣- الخطاب الشعري ، ص ٧٠ .
٤٤- ديوان بشار بن برد ، ص١٤٥ .
٤٥- التداولية والسرد ، ص٣٣ .
٤٦- ديوان بشار بن برد ، ص١٩١ .
٤٧- المصدر نفسه ، ص١٩١ .
٤٨- من النسق إلى الذات ، ص١١ .
٤٩- ديوان بشار بن برد ، ص ١٩١ .
٥٠- القراءة النسقية ، ص٢٠٤ .
٥١- ديوان بشار بن برد ، ص ١٥٨/١٥٧ .
٥٢- القراءة النسقية ، ص٣٤١ .
٥٣- مجلة الأقلام ، ص٢١ .
٥٤- ديوان بشار بن برد ، ص ١٢٨ .
٥٥- الخطاب الشعري ، ص٧٩ .
٥٦- المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
٥٧- ديوان بشار بن برد ، ص٢٥٥ .
٥٨- المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .
٥٩- من النسق إلى الذات ، ص٢٢٤ .
٦٠- ديوان بشار بن برد ، ص١٢٦ .
٦١- المصدر نفسه ، ص١٢٦/ ١٢٧ .
٦٢- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ص ٨١ .
٦٣- ديوان بشار بن برد ،ص١٩٤ .

المصادر والمراجع

١- أنساق التداول التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الأدبي ، إلف ليلة وليلة أنموذجا تطبيقيا ، د . فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق / بغداد ط١ – ٢٠٠٩م .

٢- التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، د . مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت/ لبنان ، ط١ – ٢٠٠٥م .

٣- التداولية من أوستن إلى غوفمان ،فيليب بلانشيه ، ت صابر الحباشة ، دار الحوارسورية/ اللاذقية، ط١ – ٢٠٠٧م .

٤- التداولية والسرد ، جون- ك آدمز ، ت . د . خالد سهر ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق / بغداد ، ط١ – ٢٠٠٩م .

٥- التداولية ، جون يول ، ت الدكتور قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت/ لبنان ، دار الأمان/ الرباط ، ط١- ٢٠١٠م .

٦- الخطاب الشعري في شعر بشار بن برد ، دراسة في تحليل الخطاب وبلاغته ، ا.د نضيرة احمد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق / بغداد ، ط١ -٢٠١١م .

٧- ديوان بشار بن برد، قرأه وقدم له ، الدكتور إحسان عباس ، دار صادر/ بيروت ، ط٢ – ٢٠١٠م.

٨- شظايا لسانية ، ا.د مجيد الماشطة ، مطبعة دار السلام ، العراق / البصرة، ط١ تموز ، ٢٠٠٧م .

٩- العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، لبنان /بيروت ،ط١ -٢٠٠٤م .

١٠- القراءة النسقية ، سلطة البنية ووهم المحادثة ، أحمد يوسف ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت / لبنان ، منشورات الاختلاف / الجزائر ،ط١ -٢٠٠٧م .

١١- مجلة الأقلام ، العدد الأول ، السنة السابعة والأربعون-ك٢ /شباط ، آذار ، ٢٠١٢م .

١٢- من النسق إلى الذات ، د .عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان / بيروت ، منشورات الاختلاف / الجزائر ، ط١- ٢٠٠٧م .